

ويقومون عليهم . واستنبط الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يعجزوا إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استأله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه ، منهم عبد الله ابن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكفانة بن بشر « (١) .

وهذه الرواية الأخرى هي في حاجة إلى نقد ودراسة ، فالظاهر من روايات الطبري نفسها أن « عمار بن ياسر » كان في المدينة في هذا الوقت (٢) ، وأن أهل مصر كانوا يرسلونه ويتصلون به عن طريق المكتبة ، وأنهم عند ما وصلوا إلى المدينة كان بها ، والمعروف أن علاقة الخليفة بهما لم تكن على مايرام ، فلا يعقل إرساله لأداء مثل هذه المهمة . والذي ذكره البلاذري أن الفتنة التي ظهرت بمصر كانت ترجع إلى أعمال « محمد بن أبي بكر » و « محمد بن أبي حذيفة » حتى إن الوالي « عبد الله ابن سعد بن أبي سرح » اضطر إلى وضع رقابة صارمة عليهما لئلا يفسدا الناس ، حتى إهما عند ما طلبا الخروج معه في الفزأ أعد لهما سفينة مفردة لئلا يفسدا عليه الناس ، فرض محمد بن أبي بكر فتخلف وتخلف معه ابن أبي حذيفة ، ثم إهما خرجا في جماعة الناس فارجعا من غزائهما إلا وقد أوغرا صدور الناس .

فلما بلغ عثمان ذلك دعا بهما بن ياسر وسأله الشخصوص إلى مصر ليأنيه بصحة خبر ابن أبي حذيفة وحق ما بئسه عنه من باطله ، وأمره أن يقوم بعذره ويضمن عنه العتي لمن قدم عليه . فلما ورد عمار مصر حرض الناس وانضم إلى جماعة ابن أبي حذيفة ثم أرجع بعد ذلك إلى المدينة « (٣) .

ولم يذكر البلاذري أن صاحب الفتنة هو « عبد الله بن السوداء » ويتفق الطبري مع البلاذري في هذا الخبر في كل شيء سوى وجود هذا الشخص الذي قيل إنه « عبد الله بن سبأ » وقد رواه السعدي هذه الحركة إلى محمد بن أبي بكر « (٤) ، ولا أريد هنا أن أجرد اليهود من المؤامرات التي درت للكيد بالإسلام ، وحوادثهم في ذلك كثيرة مشهورة يكفي أنهم هم الذين دسوا السم لرسول وأنهم كانوا يتولون نشر دعاية خبيثة بين المسلمين اضطرت « الخليفة عمر بن الخطاب » إلى اتخاذ موقف حاسم مشرف تجاههم أنتد به العرب والإسلام . ولكني

(١) الطبري - ص ٩٩ (٢) الطبري - ص ٥٠ ص ١٠٦

(٣) البلاذري - ص ٥١

(٤) السعدي ص ١٠ ص ٤٤٠ (المطبعة البية)

## عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد علي

- ٥ -

ذكر البلاذري في كتابه « أنساب الأشراف » كل أخبار أبي ذر ، غير أنه لم يتطرق إلى خبر النقاء « عبد الله ابن سبأ » بأبي ذر في الشام ، ولا في أي مكان آخر (١) . وقد جاء البلاذري في كتابه هذا بروايات عن أبي ذر لم ترد في الطبري مما يدل على أنه قد اغترف من منابع لم يغترف منها صاحب التاريخ . وأن أصحاب تلك الروايات لم يعرفوا عن هذا اللقاء شيئاً ، ولو عرفوه لما تركوه .

وتجد مضمون رواية الطبري بين نظرية « أبي ذر » في المال في « أنساب الأشراف » وتجد أنه كان يقول بها وهو في المدينة قبل ذهابه إلى الشام ، وأن معارية أرسل إليه ثلاثمائة دينار ، وأن حبيب بن مسلمة الفهري أرسل إليه مائتي دينار فردها . وتجد أشياء أخرى لم ترد في الطبري ؛ كل ذلك حمل معاوية على توجيه أبي ذر إلى المدينة خوفاً من إنساده أهل الشام عليه (٢) . ويظهر من رواية « يزيد القعسي » أيضاً عند الطبري أن « عبد الله بن سبأ » أصاب نجاحاً كبيراً بمصر ، وأنه وجد هناك أتباعاً وأنصاراً ، وأنه لقبهم « الرجعة » و « الوصية » و « الطمان على الأمراء » وأنه صار يكتب الأمصار ويدعو إلى الفتنة (٣) . حتى ألب الناس على ولايتهم وحكامهم وقاموا بتلك الحادثة الأليمة التي آلت إلى نتائج وثمن كانت سبباً لتفريق الكلمة وحدوث الحروب .

وأن الخليفة رضى الله عنه حينما أدرك خطورة الموقف أراد الوقوف على أسبابها ، ومعرفة الموامل التي أدت إلى حدوثها « فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرق رجالاً سوام ، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا موامهم . وقالوا جميعاً الأمر أمر المسلمين ، إلا إن أمراءهم يتسلطون بينهم

(١) البلاذري أنساب الأشراف - ص ٥٢

(٢) المصدر نفسه ص ٥٣ (٣) الطبري

وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذها أبداً . إن الناس من هذا الأمر إن حرك ، على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتنع القلوب مواقمها وتؤخذ الحقوق . فاهدؤوا عني وانظروا ما ذا يأتيكم ثم عودوا .

واشدد على علي قريش ، وحال بينهم وبين الخروج على حالها . فلما ذكره ذلك ذكر فضلهم وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك . ونادى : برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه (١) عندئذ تذامرت السبائية والأعراب وصاروا يشاغبون علي . ولما أراد علي إخراج الأعراب وإرجاعهم إلى مياههم أبت السبائية ذلك وأطاعهم الأعراب (٢) .

فالظاهر من هذه الروايات أن حالة من الفوضى قد عمت الأمصار بمد مقتل الخليفة « عمر بن الخطاب » الذي كان قد سيطر على الأمور سيطرة تامة . وأن الذين كان في قلوبهم مرض وذبح انتهزوا فرصة مقتل الخليفة وارتباك الأمر واستبداد الولاة بالرأى دون سائر الرؤساء ، فأثاروها فتنة وفوضى أدت إلى حدوث ذلك الوضع الشاذ ، فأفلتت الأمور من أحبابها وخرج العبيد والمستضعفون على قريش ، وانتهز الأعراب هذه الفرصة وقد كانت أخلاقهم وطباعهم مكتوبة في أيام « عمر » وانفقوا مع المهيجين الذين دعاهم الطبري بالسبائية والذين شاركوا حتى في المشاغبة على « علي » عند ما رأوا منه أنه كان يريد استتباب الأمن والقضاء على الفتن وإعادة سلطة قريش كما رأيت .

ولاندرى لم دعاهم الطبري «سبائية»؟ الأنهم أتباع «عبدالله ابن سبأ»؟ ولكن ابن كان هذا الرجل في هذا الوقت؟ ولم لم يشترك مع المصريين أو غيرهم عندما ذهبوا إلى المدينة وقد نسبت أكثر المصادر سب الفتنة إلى أشخاص آخرين؟ أم لأن جمهورهم كانت من أهل اليمن ، وقد كانت المادة أن يقال لهم «سبائين» أو «حجرين» كما كانت في مصر جالية كبيرة منهم قبل الإسلام وبعده ، فقبل لهم لذلك «سبائية» ولا علاقة لهذه السبائية بسبائية عبد الله بن سبأ؛ وأن هذه «السبائية» هي التي دعت الأخباريين لسب ستره إلى خلق أسطورة «عبد الله ابن سبأ» هذا الذي جعلنا الرواة نكتب عنه هذه القالات . فاختلقوا شخصاً يهودياً مسلماً أبوه من سبأ وأمه سوداء من

لا أريد في الوقت نفسه أن أسلم بدعوى من يصدق الروايات والأخبار فأسلم بأن المسلمين كانوا يصدقون كل ما كان يقال لهم بلا تفكير ، وأن يهودياً نكرة لم يعرف مركزه في اليهود ولا منزلته في الإسلام يستطيع أن يلبس هذا الدور الذي قصه علينا «سيف بن عمر» عن جماعة عن «زيد القمسي» وأنه يستطيع أن يضحك من عقول المسلمين ، وأنه يضع لهم مقالة ومقالات ثم يجادل الإمام على حيا ، ثم يدعى بمد وفاة الإمام أنه لم يموت وأنه حي يرزق في السحاب .

ورجل هذا شأنه في الدسائس والفتن والمؤامرات كان من الواجب الإشارة إليه بشيء من التفصيل ، والتفنيه عليه ، وكان في رسع «معاوية» القبض عليه والتنكيل به بين الناس . ولم نجد في شعر الرثاء الذي قيل في قتل الخليفة «عثمان» واستشهاده ما يشير إلى هذا اليهودي القاتل ، وقد ورد من هذا الشعر في الطبري وفي البلاذري وغيرهما ما فيه الكفاية (١) . ويظهر من تاريخ الطبري أن المشاغبين الذين حاصروا المدينة وكانت غالبيتهم من المصريين كانوا يهرفون «بالسبائية» كذلك ، وأنهم كانوا من المحبين للفن وأنهم لما سمعوا خطبة «علي بن أبي طالب» بمد مبايعته قالوا :

خذها إليك واحذرنا أباحسن إنا نمرُّ الأمر إمرار الرسن  
سولة أقوام كأسداد السفن بمشرفيات كفسدوان اللين  
ونظمن الملك بلين كأنشطن حتى يرن علي غير عنن (٢)  
والظاهر أنهم شاغبوا على «علي بن أبي طالب» وأنهم تركوا السكر ولم يمثلوا الأوصار وأنهم كانوا يحبون الفوضى والخروج على النظام .

وإن الأمر بمد مقتل الخليفة أصبح فوضى ، فثار العبدان على الرؤساء وخرج الأعراب لما تراءت لهم علامات الغزو وإمكان الانتقام من أهل المدن . وتجد هذه الفوضى واضحة سرسومة في خطبة «علي بن أبي طالب» يخاطب بها طلحة والزبير «يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع يقوم بملكوتنا ولا نملككم إهائم قد ثارت منهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موصماً لقدرة على شيء نما تريدون؟ قالوا لا ، قال فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، وإن لهؤلاء القوم مادة؛

(١) الطبري - ص ٥٥ - ص ١٥٨

(٢) الطبري - ص ٥٥ - ص ١٥٩

(١) الطبري - ص ٥٥ - ص ١٥٨ ، البلاذري - ص ٥٥ - ص ١٥٢ فابعد

(٢) الطبري - ص ٥٥ - ص ١٥٨